**نشأة ومؤلفات علم الصرف**

*مبحث فى علم الصرف*

*إعداد / د. وليد علي الطنطاوي*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

***waleed.eltantawy@mediu.edu.my***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى نشأة ومؤلفات علم الصرف**

**الكلمات المفتاحية – الصرف، التصريف، تاريخ**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة نشأة ومؤلفات علم الصرف**

* **.عنوان المقال**

**أولًا: نشأة علم الصرف:**

**إن تاريخ التصريف هو تاريخ النحو؛ لأن النحو كان يشمل جميع القواعد التي تتعلّق بآخر الكلمات وأبنيتها، فالصرف كان جزءًا من أجزاء النحو، وذلك عند العلماء المتقدّمين الذين بدءوا وضع النحو، لكن يبدو أن قواعد الصرف كانت متأخرة في الوضع عن قواعد الإعراب؛ لأن اللحن فشا أولًا في الإعراب، فكان أسبق وأشيع من الخطأ في بنية الكلام؛ لذا وضعوا قواعد لضبط حركات الإعراب والبناء، والغرض من هذه القواعد معالجة داء اللحن في التراكيب؛ لأن اللحن فشا في التراكيب العربية, غير أنها لم توقف تيار الخطأ في صون اللسان في المفردات التي يكثر فيها الاشتقاق والتغيير؛ كالأسماء المشتقة والأفعال المتصرفة, وكلاهما يُؤخذ من غيره؛ لذا احتاجوا إلى وضع قواعد لضبط أبنية الكلمة المختلفة ومعرفة أحوالها غير الإعراب والبناء، وتلك القواعد هي علم الصرف.**

**إذًا: نحن في حاجة إلى ضبط التراكيب، وتلك مهمة النحو، وفي حاجة لضبط المفردات، وتلك وظيفة الصرف.**

**ولا يعرف -على جهة التحقيق- أول من خاض في هذه المسائل، وعالج هذه القواعد؛ لكن يبدو أنه بعد منتصف القرن الثاني الهجري قد سمع أن أبا جعفر الرؤاسي ألف كتابًا في "التصغير"، وكتابًا في "الوقف والابتداء".**

**ونرى سيبويه يخرج لنا كتابًا جامعًا لمسائل النحو والصرف، ويحكي لنا في ثنايا (كتابه) آراء الخليل ويونس وغيرهما من العلماء؛ مما يدل على أن الدراسة الصرفية بدأت قبل عهد سيبويه بزمن غير قليل.**

**أما قول بعض العلماء: إن معاذ بن مسلم الهراء الكوفي هو أول من وضع علم التصريف، وإن الكوفيين كانوا أسبق من البصريين في ذلك الفن، فغير دقيق أو سديد؛ لأن معاذًا هذا توفّي سنة مائة وسبع وثمانين من الهجرة، أي: بعد سيبويه المتوفى سنة 180، حيث توفي سيبويه بعد أن ترك لنا في كتابه تراثًا ضخمًا من الدراسات النحوية والصرفية، بل واللغوية، ما زالت إلى اليوم مصدرًا لكل دارس ومنهلًا لكل وارد.**

**إن أبا جعفر الرؤاسي ومعاذ بن مسلم الهراء, وغيرهما من أئمة الكوفة عُرفوا بالبراعة في التصريف -الذي هو التدريب والتمرين- لأن التصريف كان يطلق عند المتقدمين على ذلك, مثل قولهم: كيف تبني من "ضرب" على وزن "جعفر" أو على مثال "جعفر"، ومن "وأى" على مثال "كوكب"؟**

**فقال السيوطي وقد غرّه هذا القول منه، في (البغية): ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا.**

**لكننا نتساءل: كيف يحكم السيوطي بذلك, إذا كان يقصد من التصريف التمرين والتدريب؟ وهذا بعيد عن الحق، وإذا كان يقصد القواعد فقد جانبه الصواب؛ لأن سيبويه البصري -وهو معاصر لمعاذ وتوفي قبله- جمعها في كتابه مستوفاة كاملة، وروى منها ما روى عن شيوخه، فلا بد أن تكون هذه القواعد قد مرّت قبل سيبويه بمراحل؛ حتى نضجت وكملت في (كتابه).**

**وقد أكثر معاذ من ذكر الكلام على هذا النوع من التصريف، وألّف في ذلك كتابًا، لكننا لم نعثر على هذا الكتاب أو على شيء منه، قال صاحب (الفهرست): ولا كتاب له يعرف، أي: إن صاحب (الفهرست) حكم بأنه لا كتاب له يعرفه الناس أو أعرفه أو أدركه حتى أسجله، ومن أجل هذه الشهرة نسب إليه السيوطي خطأ أنه واضع علم الصرف.**

**لكن الذي تطمئنّ إليه النفس أن ما صنعه معاذ لا يعدو إطلاق اسم الصرف, أو التصريف على القواعد التي يتوصل بها إلى صياغة الأبنية لتدريب الطلاب، وهي من وضع سيبويه ومن سبقه من البصريين، وإنما الذي اشتهر به معاذ هو الاقتدار على صوغ التمارين التدريبية، لكن السيوطي أخطأ في هذه النسبة، وورط غيره من العلماء بعده، مثل العلامة الصبان على الأشموني, والخضري على ابن عقيل, وصاحب (التصريح) وصاحب (شذا العرف)؛ فوقعوا جميعًا في الخطأ اغترارًا بظاهر عبارة السيوطي؛ حيث قال: ومن هنا لمحت.**

**أما هم فنقلوا الخبر على سبيل القطع دون -أو غير- تحرٍّ ولا تدقيق، فتركز الخطأ في نفوس أهل العلم، ويدل على أنه خطأ ما يلي:**

**أولًا: كتب التراجم قبل السيوطي -المتوفى سنة تسعمائة وإحدى عشرة- لم تذكر أن واضع علم الصرف معاذ، بل لم تُشر إلى ذلك.**

**ثانيًا: أن العلماء على كثرتهم -بصريين وكوفيين- لم ينقلوا قاعدة من القواعد التي يظن أن معاذًا وضعها, مع أنه من متقدمي الكوفيين وأستاذ الكسائي.**

**ثالثًا: ما يُعرف من تاريخ معاذ، أنه يتعمّق في صوغ الأبنية المخترعة للتمرين، ويكثر منها في محاوراته ومجالسه حتى ضجر منه الأدباء، وملّه الشعراء فهجوه.**

**والذي يُؤخذ من هذا -أو يستنبط من هذا- أن معاذًا لم يكن الواضع لعلم الصرف؛ بل الواضع له بحق هو واضع علم النحو ممن سبقوا معاذًا، والجديد أن يكون بطل هذا الطور هو المازني؛ لأنه أول من فصّل علم الصرف عن علم النحو ووضع له كتابه المشهور بتصريف الأفعال، ومع هذا ليس هو واضع علم الصرف اتفاقًا.**

**ثانيًا: المؤلفات في علم الصرف:**

**أول كتاب وصل إلينا استقلّ بالصرف -وهو من أشهر المصنفات للكتاب- كتاب (التصريف) لأبي عثمان المازني المتوفى سنة 249، وهو كتاب موجز نهل من سيبويه ونهج نهجه، ولكنه لم يستوعبْ مسائل الصرف كما استوعب كتاب سيبويه، فلم يتكلّم عن الجموع ولا النسب وأهمل أكثر مسائل التصغير، ويقال: إن الفراء المتوفى سنة مائتين وسبع صنّف كتابًا في التصريف، نقل عنه أبو علي الفارسي في (خزانة الأدب)، وجاء ابن جني المتوفى سنة ثلاثمائة واثنتين وتسعين، فشرح كتاب (التصريف) للمازني شرحًا يتّسم بالوضوح والتحليل، وسمّاه (المنصف), ولابن جني أيضًا (التصريف الملوكي) وهو مختصر لطيف وشرحه موفق الدين ابن يعيش، وهو أيضًا غير جامع لقواعد الصرف.**

**وقد توالت بعد هؤلاء المؤلفاتُ التي استقلّت الدراسات الصرفية, وإن كان كثيرٌ من العلماء ظلّ ينهج نهج سيبويه؛ لأن سيبويه حينما وضع كتابه واستوفى فيه المادة العلمية لعلم النحو ولعلم الصرف, وضع بذلك الأساس للعلمين، فجاء العلماء من بعده ليترسّموا خُطاه في التأليف والجمع بين النحو والصرف؛ كما فعل ابن مالك في (الخلاصة) و(الكافية الشافية) و(التسهيل), وكما فعل أبو حيان في (الارتشاف), وكما فعل السيوطي في (الهمزة).**

**ومن أحسن المؤلفات التي استقلّت بالصرف كتاب (الممتع) لابن عصفور المتوفى سنة ستمائة وست وتسعين، غير أنه لم يستوعبْ أبواب الصرف كلّها، وتكلم عن الأبنية والإعلال والقلب والإدغام بأسلوب واضح، ثم (شافية ابن الحاجب) وهو كتاب جامع لأبواب التصريف لم يسبقه أحد، وقد جمعت خلاصة (الكتاب) و(المفصل)؛ لذا توالت شروح العلماء له, وأشهر شروحها إفاضة وتوسعة ودقة شرح المحقق للرضي، ثم يليه في التوسع شرح الجاربردي، وكتاب (الشفق بشرح الرضي) يُعدّ من أمهات المراجع في التصنيف، وإن كان في أسلوبه صعوبة.**

**ومن المصنفات الحديثة التي وردت إلينا (شذا العرف في فن الصرف) للشيخ الحملاوي، وفيه كل أبواب الصرف مع الإيجاز وحسن الترتيب، وهو خلاصة (الشافية) وشروحها، ومن كتب ابن مالك وشروحها، ولا ينقصه إلا التعليل العلمي والتوسع في بعض أبوابه.**

**ثم (دروس في التصريف, قسم تصريف الأفعال) للأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، وهو سفر نفيس جامع مفيد، وفيه تطويل في بعض أبوابه واختصار في أبواب أخرى؛ لكنه خير الكتب المصنفة في تصريف الأفعال، و(تصريف الأسماء) للشيخ محمد طنطاوي، و(تصريف الأفعال) للأستاذ عبد الحميد عنتر، وغير ذلك كثير من المصنفات.**

**هذا موجز عن أشهر المؤلفات في الصرف، وأشهر رجاله الذين تركوا لنا تراثًا رائعًا، حفظ لنا العربية من الخطأ والتصحيف والتحريف في المفردات، بعد حفظها من اللحن في الإعراب بفضل النحو.**

**المراجع والمصادر**

1. **الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، (الإنصاف في مسائل الخلاف) دمشق، دار الفكر، 1998م.**
2. **أحمد حسن كحيل، (التبيان في تصريف الأسماء) القاهرة، مطبعة السعادة، 1978م.**
3. **عبد الحميد عنتر، (تصريف الأفعال) طبعة الجامعة الإسلامية، 1409هـ.**
4. **الشناوي، عبد العظيم الشناوي، (التعريف بفن التصريف) طبعة الجامعة الإسلامية، 1399هـ.**
5. **ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، (الخصائص) تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، 1953م.**
6. **محيي الدين عبد الحميد، (دروس التصريف) بيروت، المكتبة المصرية، 1955م.**
7. **(شافية ابن الحاجب بشرح الرضي الأستراباذي) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، 1982م.**
8. **الشيخ الحملاوي، (شذا العرف في فن الصرف) شرحه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 1419هـ.**
9. **ابن عقيل الهمداني، (شرح ألفية ابن مالك) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1964م.**
10. **الأشموني، علي بن محمد الأشموني، (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي، 1955م.**
11. **الأزهري، خالد الأزهري، (شرح التصريح على التوضيح) تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، 2005م.**
12. **الاستراباذي، نجم الدين محمد بن الحسن رضي الدين الأستراباذي، (شرح الكافية) طهران، مؤسسة الصادق، 1978م.**
13. **ابن يعيش، (شرح المفصل) عالم الكتب، 1999م.**
14. **الدجني، فتحي الدجني، بيروت، (الصرف العربي, نشأة ودراسة) دار الكتاب العربي، 2001م.**
15. **الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (العين) تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد، وزارة الثقافة العراقية، 1980م.**
16. **عبد الحميد عنتر، (القول الفصل في التصغير والنسب والوقف والإمالة وهمزة الوصل) طبعة الجامعة الإسلامية، 1409هـ.**
17. **سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (كتاب سيبويه) تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، عالم الكتب، 1983م.**
18. **الجاربردي، أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي، (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) بيروت، عالم الكتب، 1984م.**
19. **محمد عبد الخالق عضيمة، (المغني في تصريف الأفعال) دار الحديث للنشر والتوزيع، 1991م.**
20. **الإشبيلي، ابن عصفور الإشبيلي، (الممتع في التصريف) تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، 1979م.**
21. **الأنصاري، زكريا الأنصاري، إستانبول، (المناهج الكافية في شرح الشافية) دار الطباعة العامرة، 1310هـ.**
22. **ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني، (المنصف في شرح كتاب التصريف) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية 1999م.**
23. **أبو العباس المبرِّد، (المقتضب) تحقيق: حسن حمد وإميل يعقوب، دار الكتب العلمية، 1999م.**